أوهام الباحثين في النِّفَّريّ

عبد العزيز ابراهيم

باحث من العراق

الملخص:

يتناول البحث شـخصية النِّفَّرِيّ بوصفها من الشخصيات الإشكالية في التراث الصُّوفيّ، بسبب الغموض الذي يحيط بحياته ونسـبةِ كتاب المواقف وكتاب المخاطبات. فقد اعتمدت المصادر التراثية على اسم مُحَمَّد بـن عبد الجبَّار بن الحَسَـن النِّفَّـرِيّ، مما أدّى إلى اضطـراب في تحديدِ مؤلّف الكتـابِ وصاحبِه الحقيقيّ. وتشيرُ شهادات ابنُ عربيّ والتلمسانيّ والشعرانيّ وغيرُهم إلى أنّ الشيخّ النِّفَّرِيّ لم يؤلّفْ كتابًا بنفسِه، بل كان يكتـب تجاربه الصُّوفيّة وتنزلاته على جذاذات، ثم تولّى أحدُ أقاربِه، وهو مُحَمَّد بن عبد الجَبَّار، جمعَها وتدوينَها وترتيبها. ويسـتفادُ من نصوصِ التلمسانيّ أن ترتيبَ كتابِ المواقفِ لم يكن من عمل الشيخ، بل مـن عمـلِ مدوّنه، وهو ما يفسرُ الاضطرابَ في ترتيبِ النصوص. كما أن حيـاة النِّفَّرِيّ القائمة على التّرحال والعُزلةِ أسهمتْ في غموضِ سيرته وضياعِ كثير من أخبارِه. وقد زادَ المستشرقُ آربري الطينَ بلّةً عندما نشرَ الكتابَ منسـوبًا إلى المُدوّن لا إلى صاحبِ الأقوال، مع أنّه توجد إشاراتٌ في المخطوطات، كما ذكرَ بروكلمان، تؤكّـد أن مُحَمَّد بن عبد الجَبَّار إنما كتب الكتابَ عن كلامِ شـيخِه أبي عبد اللـه مُحَمَّد بن عبدِ الله النِّفَّرِيّ. وبذلـك يظهرُ أنّ الكتابَ من كلامِ الشـيخِ النِّفَّرِيّ مُحَمَّد بن عبد الله، لا من تأليف حفيدِه أو سـبطِه –على اختلاف الروايات– مُحَمَّد بن عبد الجَبّار.

الكلمات المفتاحية:

النِّفَّرِيّ، المواقف والمخاطبات، التصوف الإسلامي، تدوين النص الصُّوفيّ.

تقديـم

لم تكـن الحقبـة الممتدة من منتصـف القرن الثالـث حتـى القـرن الرابـع الهجريين سـعيدة بأهلها. فقد شهدت صراعات سياسية بين حكامها من أتراك وبويهيين وسلاجقة من بعدهم، أثرت في الحياة الاجتماعية والاقتصادية فضلًا عن الثقافية. حيث دفعت بمجموعات مـن أهل هذه الحقبة إلى الابتعاد عـن نارها. ومن بين هذه المجموعات كان المُتَصَوّفة الذين اتخذوا من العِبَادَة مسـكنًا روحيًا لهـم، ومن عزلتهم عن الناس سـبيلًا يقطعون به صلتهـم بهؤلاء الحـكام الذين اسـتظلوا بالغطاء العَبَّـاسيّ للدولـة طوال هذا الـصراع. ولكن هؤلاء حين داهمتهم مَوَاقِـف المُتَصَوّفـين ومُخَاطَبَاتهم التـي أخذت حيـزًا في أفـكار العامة مـن الناس، ضيقـوا الحبل على رقـاب أهل التصـوف وأعلنوا حربًا عليهم، دفعت بالكثير منهم إلى الهرب بعيدًا عـن عيـون الحـكام. وكان القرن الرابع شـاهدًا على هذه الممارسـة عندما أُعدِم الحلاج (الحسـين بن منصور) سـنة ٣٠٩هـ الذي رأوا فيه شـاهدًا على تحوّل الصُّوفيّة من (العكوف على العِبَادَة لله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيهـا من لذة ومال وجـاه، والانفراد عن الخلق في الخلـوة والعِبَادَة)[١]. إلى التمـرد على هذه العِبَادَة والشرك باللـه حين قال: (انا الحق) وقوله: (ما في الجبة الا الله)[٢]، إلى غير ذلك مما نسبوه إليه.

وبالرغـم مـن هذا الـصراع على السـلطة فإنَّ مَجَالِس الشـيوخ التعليمية أخـذت حيزًا كبيرًا في مجـال التعليـم في العصر العَبَّـاسيّ، فبرزت حالة جديدة عُرفت بالأَمَـالِيّ والمَجَالِس. ويُقصد بالأولى أنَّ (الأَمَـالِيّ ما كان يمليه الشَّـيخ أو مَنْ يُنيبه عنه بحضرتـه، فيتلقفُها الطّلاب بالتقييد في دفاترهم. وفي هـذا يكون الشَّـيخ قد أعَدَّ مـا يُمليه، أو يُلقي إلى الطّلبة ما يشـاء من تلقاء نفسه. وأما المَجَالِس فتختلـف عن تلـك بأنَّها تسـجيلٌ كامـل لما كان يحدث في مَجَالِس العُلَمَاء، ففيها يلقي الشَّـيخ ما يشـاء من تلقاء نفسـه، وفيها كذلك يُسأل الشَّيخ فيجيب. فيدوَّن كل ذلك فيما يسـمى مجلسًا)[٣]. ومثالنا على الأَمَـالِيّ، أَمَالِيّ الزجاجيّ (عبد الرحمن بن اسـحاق/ ت ٣٤٠هـ). وأما المَجَالِس فمثالها، مَجَالِس ثعلب (أحمد بن يحيى/ ت ٢٩١هـ).

وينبه المحقق عبد السلام مُحَمَّد هارون على أنَّ (كثيرًا ما تتعرض كتب المَجَالِس للتغيير والتبديل، والزيـادة مـن التلاميـذ والـرواة)[٤]. فضـلاً عن الانتحال الذي يُنسب به المكتوب إلى غير أهله.

ومثالنـا لهـذه الأَمَـالِيّ في العـصر الحديث ما نـشرَه عبد الوهـاب مُحَمَّد عَليّ في مجلـة (المورد) تحت عنوان: "أَمَالِيّ مصطفى جواد في فنِّ تحقيق النُّصـوص"، وبرّر صنيعه بقوله: (توفي أسـتاذنا العلّامـة الدكتور مصطفى جواد عشـية الأربعاء، ثامن شـوال ١٣٨٩هـ، الموافق السـابع عشر من كانون الأول ١٩٦٩م، وخلّف لنا ثروة علمية يحق لنا –نحن تلامذته– أن نعتزَّ بها، ومن نفائسـها: مُحاضرات في فنِّ "تحقيق النصوص" مشـفوعة بتماريـن في "تحرير التّصحيـف" حضرتُ عليه في مَجَالِس درسِـها والمراس بهـا، وكنتُ في حينها

(١) تاريخ آداب اللغة العَرَبيّة، جرجي زيدان، ٢/ ٦٤١.
(٢) وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمان، لابـن خلكان، تحقيق. د. إحسان عَبَّاس، ٢/ ١٤٠.
(٣) مجالـس ثعلب، لأبي العَبَّـاس أحمد بن يحيى ثعلب، شرح وتحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون، ١/ ٢٣.
(٤) تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام مُحَمَّد هارون، ص٣٦.

أستعدُّ لنيل درجة الماجستير من دائرةِ اللغةِ العَرَبيّة بجامعةِ بغدادَ سنة ١٩٦٥م. وقد بقيت هذه المحاضرات مخطوطة عندي أعود إليها كل حين استظهارًا واستشارة ومراجعة، ثم رأيتُ بأَخَرةٍ أنْ أحرّرها وأنشرها مشاركة في خدمة تراث ذلكم الأستاذ الجليل... وقد خشيتُ على منهجِه هذا يدًا جائرة تطمسُ أثره، فهو غير مقيّد في ثبت مؤلفاته الذي تضمنَه بيانُ عضويتهِ في المَجمَع العلميّ العراقي المنشور في المجلة المَجمعيّة (مج ١٨ / ٣٦٤-٣٦٥)، أو نفسًا ضعيفة تتلصَّصُه بعد حين، لا تردُّها عن ذلك سلامةُ نيّة، ولا نزاهةُ قلم)[٥].

(١)

من الشخصيات الإشكالية في التراث الصُّوفيّ التي اختلف الباحثون فيها، شخصية النِّفَّرِيِّ الذي عاشَ في القرن الرابع الهجريِّ، ويُنسَبُ إلى مدينة نِفَّر في العراق. والإشكالُ الذي يواجه الباحث حينما يريد أن يعرض لحياته أو شخصيته في المظانّ التراثية التي تناولته وقد اتخذت اسم (مُحَمَّد بن عبد الجَبَّار بن الحَسَن) مَرجعًا، سواءٌ ما ذُكِر عنه أو عن تصوفه أو عن سنة وفاته، وهذا ما صنعه آربري (آرثر جون) في مقدمة كتاب (المَوَاقِف والمُخَاطَبَات)، أو شهادات عنه لابن عَرَبيّ في (الفتوحاتِ المَكيّة) أو التلمسانيّ في (شرحِهِ لمَوَاقِف النِّفَّرِيِّ) أو الشعرانيّ في (الطّبقاتِ الكُبرى)، أو حاجي خليفة في (كشفِ الظنون)، أو القاشانيّ في (لَطَائف الأعلام). فضلًا عن الزَّبيديّ في (تاج العروس)، والزِّركليّ في (أعلامه) أو سعيد الغانميّ في مقدمةِ (الأعمال الصُّوفيّة)، أو خالد بلقاسم في (الصُّوفيّة والفراغ).[٦] وغيرهم.

وإذا كان ابن عَرَبيّ (ت٦٣٨هـ) أولَ من نبّه على النِّفَّريّ صوفيًا، فانَّ عفيف الدين التلمسانيّ (ت٦٩٠هـ) في شرحه للمَوَاقِف، أشار إلى نسبةِ هذه (المَوَاقِف) إلى مُحَمَّد بن عبد الجَبَّار بن الحَسَن، في ثلاثة مواضع من الكتاب: ففي **الموضع الأول** يذكر: (إنّ الذي ألّف هذه المَوَاقِف هو ولدُ ولدِ الشَّيخ النِّفَّريّ رحمه الله، وليس هو الشَّيخ نفسه. إذ كان الشَّيخ لم يؤلف كتابًا، إنّما كان يكتب هذه التّنزلات في جُزازات أوراق نقلت بعدَه، فإنّه كان مُؤلهًا لا يقيم بأرض، ولا يَتعرّف الى أحد، وذُكر أنَّه تُوفِي بأرضِ مصرَ، في بعض قُراها)[٧]. في حين يَذكر في **الموضع الثاني**: (إن الذي رتَّب هذه المَوَاقِف والّف ترتيبها هو ابنُ بنتِ الشَّيخ ولم يكنْ الشَّيخ الذي رتّبها، ولو رتّبها الشَّيخ لكانت على أحسن من هذا النظام، بحيث لا يكون شيء، الا مع ما يناسبه)[٨].

أما **الموضع الثالث** فهو: (وهذا يدلُّ على أنَّ الذي ألّف هذه المَوَاقِف لم يكنْ هو النِّفَّريَّ، بل هو بعضُ أحبابِه. وقيلُ هو ابن بنتِه)[٩].

ونستنتج من هذه النصوص الثلاثة المكررة

(٥) أمالي مصطفى جواد في فن تحقيق النصوص، عبد الوهاب مُحَمَّد علي، مجلة المورد، وزارة الاعلام، المجلد السادس، العدد الأول، بغداد ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص ١١٧.

(٦) تنظر المصادر: الفتوحات المكية ١/ ٢٨٩، ٢/ ٢٢، ٧٩، ٣/ ١٦٦، ٤/ ٢٧١، الطبقات الكبرى ٢٨٣ – ٢٨٤ رقم الترجمة ٢٩٠، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون٢/ ١٨٩،لطائف الاعلام في اشارات اهل الالهام ١/ ٣٦٣ – ٣٦٤، تاج العروس من جواهر القاموس/ (مادة نفر) الاعلام ٦/ ١٨٤، الاعمال الصوفية/٨، الصوفية والفراغ /٦.

(٧) شرح مواقف النِّفَّريّ، عفيف الدين التلمسانيّ ، تحق. د. عاصم ابراهيم الكيالي، ص ٢٠٠

(٨) المصدرُ نَفسُه، ٣١.

(٩) المصدرُ نَفسُه، ٤٢٣.

باختلافٍ قليلٍ ما يلي:

أولا: المؤلّف المكتوب اسمه على (المَوَاقِف) و(المُخَاطَبَات) هو مُحَمَّد بن عبد الجَبَّار بن الحَسَن النِّفَّرِيُّ (لم يكن هو الشَّيخ صاحب المَوَاقِف، بل هو مُدوِّنُ جذاذات شيخه في كتابٍ دون أن يتمكن من ترتيب النصوص على الوجه المطلوب).

ثانيًا: إنَّ الشَّيخ النِّفَّرِيَّ لم يؤلف هذه المَوَاقِف (وإنما كان يكتب هذه المَوَاقِف أو التنزلات على قصاصاتٍ ورقيةٍ نقلها غيره من بعد كتابتها).

ثالثًا: (الشَّيخ النِّفَّرِيُّ المُتَصَوّف لا يقيم بأرضٍ ولا يختلط بالناس). وكما يصف ابن الجوزيِّ المُتَصَوّفة بأنهم سياحٌ في الأرض لا يعرفون مكانًا يستقرون فيه، أو أناسًا يعقدون صداقةً أو علاقةً إنسانيةً معهم، بل العزلةُ خيرُ مكانٍ يطمئنون به. وتلك سماتهم الحياتية.[١٠]

رابعًا: هذا التنقل وعدم الاستقرار في مكانٍ (ضيّع علينا معرفة هذا الشَّيخ) أو حياته، أو سيرةَ رجلٍ صوفيٍّ من رجالاتِ القرن الرابع الهجريِّ.

خامسًا: أنَّ الخللَ الواردَ في ترتيب (المَوَاقِف) كان سببُه مؤلفَ الكتاب أو مُدوّنه، وليس الشَّيخ النِّفَّرِيَّ. ولو كتب الشَّيخ النِّفَّرِيُّ مَوَاقِفه بنفسه لكانت (أحسن من هذا النظام) الذي خلق فجوةً في النص بين الأشياء وما يناسبها. وهذا واضحٌ في الإرباك الذي نبّه عليه التلمسانيُّ في شرحه مُتحفظًا على صنيع كاتبها.

سادسًا: كاتب المَوَاقِف أو مُدوّنها هو (مُحَمَّد بن عبد الجَبَّار بن الحَسَن) صلتُه بالشَّيخ هي (ابن بنته)، لم يتمكن من ترتيب المقامات أو (المَوَاقِف).

(١٠) تلبيس ابليس، لابن الجوزي، تحق. مُحَمَّد بن الحسن/ ١٧٥ – ١٧٦

إنَّ كتاب (المَوَاقِف والمُخَاطَبَات) الذي نشره آربري في سنة ١٩٣٤م بالقاهرة كان وراء هذا الإشكال الذي أشاع نسبة الكتاب إلى المُدوِّن لا إلى صاحبه الشَّيخ النِّفَّرِيِّ. فصار القارئ يأخذ بنسبةِ الكتاب لمُدوِّنه وليس لقائله. وفاتَ المُستَشرِق آربري ما كتبَه المُستَشرِق الألماني كارل بروكلمان في موسوعته عن (تاريخ الأدب العَرَبيّ) الذي نشره قبل أن ينشر آربري هذه المَوَاقِف. إذ يقول بروكلمان: (مُحَمَّد بن عبد الجَبَّار بن الحَسَن البَصريُّ كتب سنة ٣٥٢هـ - ٩٦٣م كتاب المَوَاقِف، سمعَه من كلام شيخِه أبي عبدِ الله مُحَمَّد بن عبد الله النِّفَّرِيِّ، هكذا في مخطوطة أيا صوفيا (٢١٢١) عن مَوَاقِف الصُّوفيّة السبعةِ والسبعين، وأولها موقف العزِّ، وآخرها موقف الكشف)[١١]. وينبّه بروكلمان على أنَّ آربري لم يستعمل مخطوطة أيا صوفيا.

وإذا كان أربري قد كتب مقدمةً بالإنكليزيّة لم تُترجم مع النشرة العَرَبيّة، وفيها تجاوزَ ما ذكرَه عفيف الدين التلمسانيُّ لشرحِه (المَوَاقِف)، ونشرها منسوبةً لمُحَمَّد بن عبد الجَبَّار بن الحَسَن كونه مؤلفها؛ فإنَّ موقفه هذا يبقى مثارًا للسؤال.

ولم يكن الأب بولس نويا اليسوعيّ من بعده أكثر دقّةً حين نشر كتابه (نصوص صوفية غير منشورة) لثلاثة من مُتَصَوّفي العصر العَبَّاسيّ، هم: شفيق البلخيُّ، وابن عطاء الآدميُّ، والنِّفَّرِيُّ. فتراه يقول في توطئة الكتاب: (النص الأخير الذي ننشره، هو القسم غير المنشور من تأليف مُحَمَّد النِّفَّرِيِّ، منتصف القرن الرابع هجري)[١٢]. فالاسم فيه

(١١) تاريخ الادب العَرَبيّ، كارل بروكلمان، تر. د. السيد يعقوب بكر، ص ٤/ ٧٦

(١٢) نصوص صوفية غير منشورة لشفيق البلخيّ، ابن عطاء الادميَ، النِّفَّريّ، تحق. بولس نويا اليسوعيّ، ص

هو مُحَمَّد النِّفَّـريّ فلا ندري أيقصد مُحَمَّد بن عبد الجَبَّار، أَم مُحَمَّد بن عبد الله؟ لكنه في تقديمه لنص النِّفَّريّ، يذهب في نسـبة هذا النـص إلى الأول كونه مؤلفًـا او مدونًا لهـذه المَوَاقِف فيقول: (قال المؤلف للكتـاب مُحَمَّد بن عبـد الجَبَّار رحمـه الله: (فهذا الـذي أخذت عنه وجمعتُه مـن كلامه، خلاف ما له من كلام كثير في هذا الفن))[١٣]

والإشارةُ هنا إلى شـيخه، فهو لم يؤلف الكتاب، بـل دَوّن ما أخذه عن الشَّـيخ. كما جـاء في المقدمة في اللغة الفرنسـية. ما عدا هذه الأسـطر فقد كتبها بالعَرَبيّـة. يؤيـد ما ذهبنـا إليـه أنَّ النصوص غير المنشـورة التي ذكرها بولس نويا اليسوعيّ قدّم لها مؤلـف المَوَاقِف أو مُدوّنها بألفاظ: (قال) مرفقة بـ (رحمه الله) أو (قدّس روحه) أو (ومن كلامِه رضيَ الله عنـه وأرضاه))[١٤]. تدلّ على نسـبةِ النصوص إلى الشَّـيخ أبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله النِّفَّريّ، وليست لمُحَمَّد بن عبد الجَبَّار.

ولا يختلف خالد بلقاسم في كتابه (الصُّوفيّة والفراغ) عن سابقِيه لأنّه يدخل في الردّ عن كون النِّفَّرِيّ هو مُحَمَّد بن عبد الجَبَّار لا غيره، وما قاله التلمسانيُّ لا يخرجُ عن روايةٍ لا سندَ لها، مُتخذًا من اللغةِ مَدخلًا لاعتراضِه فتَراه يقول:

١. لا يعرض التلمسانيُّ للتّرتيب، وبذلك فإنَّ إشارته تظل محدودةً ومقيدةً.
٢. لا يصرّح التلمسانيُّ بمصدرِ المعلومة التي في ضوئها نُسِب الترتيب في تأليف الكتاب، إذ يكتفي بالقول (هذا ما نُقِل) فيظل النقل ومصدر النقل مبهمين.
٣. سياق إشارة التلمسانيِّ يجعل احتمال الشكّ في الترتيبِ غيرَ مقتصرٍ على التّتابع الذي خَضعتْ له المَوَاقِف في الكتاب، فتغدو العلاقة بين العنوان والمَوَاقِف مختلفةً.
٤. القراءة الصُّوفيّة الحديثة تفتح بابًا على استقامة التأمل كتابةً متقطعةً في ضوء الترتيب.
٥. إنَّ إسناد التأليف، بمعنى الترتيب للحفيدِ لا يَنفي فعلَ الكتابة عن النِّفَّرِيِّ.[١٥]

إنَّ هـذا الرد الذي يرى في التنبيـه أنَّه محصورٌ بالسياق، يُردُّ عليه: هل يُطلب من الناقد أو الباحث أن يكرر تنبيهه مع كل سـياق؟ أما مصدر المعلومة فـإنَّ الإرباك الحاصل في النصّ شـاهدٌ عليه، فضلًا عن معلوماته عن الصُّوفيّة. وأما احتمالُ الشكّ فغيرُ مقتـصرٍ بالترتيـب، لأنَّ المَوَاقِف شـذراتٌ متداخلةٌ. أقـوالٌ لـو كانت كذلـك لانتفـى العنـوان أو الرقم لا سـيما أنّها مسـجلة على جـذاذات، وأمـا تداخلُ القراءات الحديثة في النص الصُّوفيّ فلا يَعني توثيق نسـبته. وأخيرًا مَن قال إنَّ النِّفَّرِيَّ الشَّـيخ الصُّوفيّ غير قادرٍ على فعلِ الكتابة؟!

ولم يكنْ سعيدُ الغانميُّ مخالفًا في صحة النسبةِ إلى مُحَمَّـد بـن عبد الجَبَّـار باتفاق المصـادر -كما يرى- لكنه قلب ما قاله التلمسانيُّ رأسًا على عقب، فجعلَ من مُحَمَّد بن عبد الجَبَّار شيخًا، ومن مُحَمَّد بـن عبد الله النِّفَّرِيِّ ابنه أو ابن أخته. فيقول: (وقد دفعَـه الإخـلاصُ لتجربتـه إلى الإعـراض حتّى عن تدوينها، فكانَ يلازمُه شـيخٌ آخر، هـو ابنُه أو ابن أخته، كرّس حياته لجمع شذرات شيخه، وتهذيبها،

/١٠

(١٣) المصدرُ نَفسُه/١٧٦

(١٤) المصدرُ نَفسُه/٢٦٩ – ٢٧٠

(١٥) الصوفية والفراغ، الكتابة عند النِّفَّريّ، خالد بلقاسم، ص ٢١٣ -٢١٦.

لعلَّ اسمه كان مُحَمَّد بن عبد الله النِّفَّرِيَّ، وهو الآخر شخصيةٌ شبحيةٌ، ربما لم يكن سوى امتدادٍ لشخصيةٍ شبحيةٍ)[١٦] هكذا!!.

ويقف د. جمال المرزوقيّ على رأيٍ بعد أن جمع (المَوَاقِف والمُخَاطَبَات) لآربري إلى ما نشرَه اليسوعيّ مقدمًا لهذا الجمع دراسةً موضوعيةً أكّد فيها أنَّ: (صاحب المَوَاقِف الحقيقي هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله النِّفَّرِيُّ. أما مُحَمَّد بن عبد الجَبَّار بن الحَسَن النِّفَّرِيُّ فهو حفيدُ الشَّيخ، وإليه نُسِب كتابُ المَوَاقِف على أساس أنّه هو الذي قام بترتيب أوراق جدِّه، والتأليفِ بينها على النّحو الذي نجده بين أيدينا، وأنَّ الشَّيخ النِّفَّرِيَّ كان جوالًا لا تستقرّ به أرضٌ)[١٧]. وأن سنة ٣٥٤هـ هي سنة وفاة الشَّيخ[١٨].

وهذا الرأيُ بناه المرزوقيُّ على قراءةٍ لنصوص التلمسانيِّ التي نشرَها مُحققةً، فضلًا عن مراجعتِه لَما كتبَه كارل بروكلمان في تاريخه للأدب العَرَبيّ وما جاء بمخطوطة أيا صوفيا التي لم يرجع إليها آربري كما قدمنا. فضلًا عن مصادر أخرى منها: (تاريخ التراث العَرَبيّ) لفؤاد سزكين، ومخطوطاتٍ يعود تاريخ بعضها إلى القرن الرابع الهجريِّ.

(٢)

والذي أنتهي إليه أنَّ (المَوَاقِف) و (المُخَاطَبَات) التي نشرها آربري والأجزاء المتفرقة التي نشرها بولس نويا اليسوعيّ من بعده بنثرها وشعرها هي من قول الشَّيخ المُتَصَوّف أبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله النِّفَّرِيِّ. أما ما كتبه مُحَمَّد بن عبد الجَبَّار أو دوّنه في هذه المَوَاقِف فهي نقولاتٌ عن الشَّيخ أو جذاذاته اجتهد بترتيبها، لا أن ينسبها لنفسه لأنَّ الأمانة العلمية تفرض عليه أن يُنبّه على ذلك، لكنَّ مُحَمَّد بن عبد الجَبَّار كتب اسمَه على المَخطوط مما أوهمَ ابنَ عَرَبيّ الذي ذكرَه في الفتوحات المكية على أنَّ مُحَمَّد بن عبد الجَبَّار هو صاحبُ هذه المَوَاقِف، وصنيعُه هذا يعد تجاوزًا على حق غيره. وكما أشرنا في التّقديم، إنَّ الدافع الذي دفعَ عبد الوهاب مُحَمَّد عَليّ إلى نشر أَمَالِيّ أستاذه الدكتور مصطفى جواد بعد وفاته كان خوفه من أن ينتحلها طالبٌ آخر وينسبها لنفسه.

وقد فاقمت قلة المعلومات في المصادر التراثية عن الشَّيخ أو معرفة سيرته هذا الخلط، مما دفع بأكثر الباحثين إلى أن يعدّوا المدوّن لهذه المَوَاقِف هو مؤلفها، بالرغم من تنبيه عفيف الدين التلمسانيِّ على خطلِ هذه النّسبة إلى الحفيد بعيدًا عن الشَّيخ الذي قالها، كونها أَمَالِيّ الشَّيخ تركَها مكتوبة على جُذاذات دون أن يرتّبها. أما مخطوطة أيا صوفيا التي اعتمدها بروكلمان فقد فرقت بين الاثنين بأنْ لقّبت الشَّيخ بالنِّفَّرِيِّ والحفيدَ بالبصريِّ تمييزًا لهما، وهذا يؤيد ما نذهب إليه. وما قدّمنا من أنَّ الباحثين اتّخذوا من إشارة ابن عَرَبيّ في نسبةِ المَوَاقِف إلى الحفيدِ كانت هي السببَ وراءَ هذا الإرباك، وتابع مَن جاء بعدَه ما قالَه ابنُ عَرَبيّ في هذه النسبة.

وقد فاتَ الصُّوفيّ ابن عَرَبيّ الأعمالُ الأخرى التي نشرتْ مخطوطاتها وكلّها يُنبّه على أنَّ الشَّيخ هو مُحَمَّد بن عبد الله. ولا يخرج عمل مُحَمَّد بن عبد الجَبَّار عن التدوين الذي وجدَ فيه التلمسانيُّ

---

(١٦) الأعمال الصوفية، مُحَمَّد بن عبد الجبار، راجعها وقدّم لها سعيد الغانميّ، ص ٨.
(١٧) النصوص الكاملة للنفري دراسة وتقديم د. جمال المرزوقيّ، ص /٢٧.
(١٨) المصدَرُ نَفسُه/٣٣.

في شرحه خلـلًا وكرّره ثلاث مـرات –كما قدّمنا–. وكانت نُقولُ المتأخرينَ عـن المُتقدّمين هي علة هذا الإرباك في دراسة حياة هذا الصُّوفيّ وسيرته، لقناعة المتأخرين أنَّ ما ذكـره القدماء هو الصواب. فضلًا عن حياة المُتَصَوّف الذي لا يستقر بمكان مما ضيَّع علينا نسبةَ نصوصٍ كثيرة إلى غير أهلها في تاريخِنا الأدبي ومنها سيرة هذا الصُّوفيّ.

وتبقى لي ملاحظة على نهاية الشَّيخ النِّفَّرِيِّ، ذلك أنّه هَجرَ نِفَّر وغادر العراق وماتَ في مصرَ في إحدى قراها، كما يذكر التلمسانيُّ في شرحه. أقول إنَّ هذه الهجرة لم تكن بإرادته، أو سـياحةً كما يصفُ ابنُ الجوزي رجال الصُّوفيّة، بل كانت هروبًا مما يلقاه المُتَصَوّفـةُ من مُضايقاتٍ في القـرن الرابع الهجريّ من الدولة العَبَّاسـيّة التي شـعرت بخطورةِ رجال الصُّوفيّة، حين أدخلَ بعضُ المُتَصَوّفين أنفسَـهم في تنبيـه العامّة على الظلم الـذي يلحقهم من معاملة ولاة الأمـر للرعية. ولم يكـن اختياره لمصر إلا لأنها بعيدة عن بغدادَ وسلطةِ العَبَّاسيّين. والسبب نفسه قد يكون وراء نسبة المَوَاقِف والمُخَاطَبَات إلى الحفيدِ دون الشَّيخ أبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله النِّفَّرِيِّ.

مصادر البحث و مراجعه

- الاعـلام، خير الديـن الزركلي، دار العلـم للملايين، بيروت ط١٧، لسنة ٢٠٠٧ م.
- الاعمـال الصُّوفيّة، مُحَمَّد بن عبـد الجَبَّار النِّفَّريّ، راجعهـا وقـدم لهـا سـعيد الغانمي، منشـورات الجمل، كولونيا (المانيا)، بغداد ٢٠٠٧ م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، مُحَمَّد مرتضى الزَّبيـدي، تحـق. د. عبـد المنعم خليـل واخر، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- تاربـخ اداب اللغـة العَرَبيّـة، جرجـي زيـدان، منشـورات مكتبـة دار الحياة، بـيروت ١٩٦٧ م، ج٢/ ٦٤١
- تاريـخ الادب العَرَبـيّ، كارل بروكلمـان، تـر. د. السـيد يعقوب بكر و اخـر، دار المعارف بالقاهرة ط٢، لسنة ١٩٧٧ م، ج٤
- تحقيـق النصـوص ونشرهـا، عبد السـلام مُحَمَّد هـارون، مكتبة الخانجي بالقاهـرة، ط٧، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- تلبيـس ابليس، ابـن الجـوزيّ، تحـق. مُحَمَّد بن الحَسَـن واخـر، دار الكتـب العلميـة، بيروت ط٤ لسنة ٢٠١١ م.
- شرح مَوَاقِـف النِّفَّريّ، عفيف الدين التنلمسـاني، ضبطـه، د. عاصـم ابراهيـم الكيـالي، دار الكتب العلمية بيروت ط١، لسنة ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
- الصُّوفيّـة و الفـراغ، الكتابـة عند النِّفَّـريّ، خالد بلقاسـم، المركـز الثقـافي العَرَبـيّ الـدار البيضاء المغرب ط١، لسنة ٢٠١٢ م.
- الطّبقات الكبرى (المسماة بلواقح الانوار في طبقات الاخيـار) للشـعراني (ت/٩٧٣ هـ) تصح. عبد الغنـي الفاسيّ، دار الكتـب العلمية بيروت ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- الفتوحات المكية، لابن عَرَبيّ، قراءة نواف الجرّاح، دار صادر بيروت ٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ.
- كتـاب المَوَاقِف و كتاب المُخَاطَبَـات لمُحَمَّد بن عبد الجَبَّار النِّفَّريّ، تصح. أرثر يوحنا ار بري، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٣٤م.
- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، تصح. مُحَمَّـد شرف الدين بالنقايا، وكالة المعارف القاهرة ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م.
- لطائف الاعلام في اشارات اهل الالهام، عبد الرزاق القاشـانيّ، دراسـة وتحقيق سـعيد عبـد الفتاح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣ لسنة ٢٠٠٧ م.
- مَجَالِس ثعلب، لابي العباس احمد بن يحيى ثعلب، شرح وتحقيـق، عبد السـلام مُحَمَّد هـارون، دار المعارف القاهرة، ط٥، ١٩٨٧ م.
- نصوص صوفية غير منشورة لشفيق البلخيّ، ابن عطاء الادمي، النِّفَّريّ، تحق. بولس نويا اليسوعيّ، دار المشرق بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩٧٣ م.
- النصـوص الكاملـة للنفـري، دراسـة وتقديم، د. جمال المرزوقـيّ، الهيئة المصريـة العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٥ م.
- وفيـات الاعيان وانبـاء ابناء الزمـان لابن خلكان، تحق. د. احسان عباس، دار صادر،بيروت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
-

الدوريات

- مجلـة المـورد، وزارة الاعلام، دار الحريـة، المجلد ٦، العـدد ١، بغداد ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م. (أَمَالِيّ مصطفـى جـواد في فـن تحقيق النصـوص، عبد الوهاب مُحَمَّد علي).